

إسراف وتجاوز وغلو وخروج عن المقدار، والمولدون _ كما يقول الجاحظ(1) _ أفرطوا في الغلو، وليس عنده بأجود، ويمثل الجاحظ للإفراط بقول شاعر في وصف كلب بسرعة العدو (كأنما يرفع ما لا يضع) ويمثل المبرد في بعض استطراداته بقول الاعرابي: (لو ترسل الريح لجئنا قبلها) ثم يذكر أن أملح ما قبل في سرعة العدو وأجوده قول امرئ القيس في وصف فرسه بأنه (قيد الاوابد) ويردد ابن قتيبة في كتبه وصف المولدين بالإفراط، بل يعيب ما ورد عن القدماء من شعر فيه إفراط، وربما كان لإفراط أبي تمام وأبي نواس وأمثالهما في هذا النوع أثر في حملة أنصار القديم على المحدثين، وإن كان الغلو ورد كثيراً في شعر القدماء، لكن يغتفر للشاعر أن يجيء في قصيدته البيتُ والبيتان أما أن يلج فيه إلحاحاً، ويجعله ديدنه وهجيره فهو الانهيار والسقوط.

وتنتقل المسألة من نظرة يرددها أنصار القديم في كتبهم دون أن يطيلوا في الاحتجاج لها والدفاع عنها، بل دون أن يبينوا بياناً علمياً شافياً وجه العيب فيها، وإنما يكتفون بالاعتماد على الذوق، تنتقل من هذا الوضع البسيط إلى قضية ضخمة تنقاتل فيها الأفكار والآراء، ويفتح قدامة بن جعفر الباب فيدافع عن الغلو، ويعتبره أساس الجودة عند الشاعر والكاتب، ويذكر أن اليونانيين في شعرهم، بل يزعم أن أهل الفهم للشعر على هذا المذهب، ويذكر الحاتمي أن أهل العلم بالشعر مجمعون على عيب الإسراف، ويشاء!!!!!!!!!!!!!! يعه الجرجاني في الوساطة وابن رشيق في العمدة، وتنتهي المسألة عند المتأخرين من علماء البيان إلى أن الغلو مقبول إذا كان معه ما يسوغه، أما النوع الآخر فلا يكاد يستعمله إلا من عجز عن استعماله المألوف، والاختراع الجاري على الأساليب المعهودة، فلا جرم عمد إلى المبالغة ليسد خلل بلادته بما يظهر فيه من التهويل(1)، وهذا نفسه هو الذي انتهى إليه النقد الحديث، فالكاتب الفج محمول على المبالغة، والنضوج اتزان

(1) الحيوان < 2 ص 35 _ طبعة هرون.

(2) الطراز في البلاغة < 3 ص 118.